

سلفنة الرواية العربية المعاصرة تجميل للأصولية وتلاعب بالإبداع

روائيات منتقبات ينشرن قيم الانغلاق والذكورية ورفض الآخر



متشددون جدد بأساليب عنف جديدة

والأمر الثاني يتمثل في أن هناك امرأة منتقبة بسبب قناعات دينية وفكرية تؤمن هي بها. وبلغت عراق إلى أن المرأة المنتقبة رغمًا عنها قادرة على كتابة رواية أو قصيدة مغيرة، إذا امتلكت المهارات الواجبة، لكن من الصعب على المرأة المنتقبة بضرورة النقاب أن تقدم لنا نصوصًا إبداعية تتصف بالإشراق والجمال والعمق، لأنها تنطلق من قناعة فكرية مقدسة تحتقر حرية الإبداع، كما تحتقر المرأة نفسها وتحتزلها في جسد مرصود لمتعة الرجل، وتحتزل الدين نفسه في قطعة قماش.

قبول مشروط

يشدد الروائي المصري حمدي الجزار، لـ"العرب"، على أن الأديب حرية تامة وكاملة وممارسة إبداعية بلا قيود، لذا يصطدم بالأيديولوجيا، أيًا كان توجهها، فالنفس نسق مفتوح لا يمكن أن يحيا بعيدا عن ذلك الانفتاح. ويتابع، إن ذلك لا يقتصر على السلفيين أو المنتمين إلى التيارات الدينية وحدهم، إنما يشمل كل من يعتبر نفسه "شيعيا ستالينيا أو لينينيا أو ماويا أو من يقدم نفسه باعتباره كاتبًا مسيحيًا، فالرواية الحقيقية أوسع من الأيديولوجيا".

إذا كان هناك من يقبلون بالأمر باعتبار السلفيين، رجالًا ونساءً، فصيلا من المجتمع من حقه التعبير عن نفسه وقيمه وطرح تصورات، فإنه من الضروري أن يخضع ذلك لمعايير فنية تتجاوز فكرة الطرح الوعظي المباشر أو تمرير أفكار التطرف.

حاول البعض بالفعل اختبار ذلك، ما دفعه إلى الاصطدام الفعلي بمعسكر السلفية الذي ينتمي إليه، وهو ما عبر عنه الروائي المصري ماجد شبيحة في رواية جريئة فضحت توجهات السلفيين ضد الفن وحملت عنوان "سلفي يكتب الروايات سرا".

تقول القاصة المصرية سمر نور، لـ"العرب"، إن النقاب أو اللحية اختيار إنساني لسنا في مجال نقده، لكن ذلك يعكس بالضرورة فكرة الابتعاد عن الدنيا، والأدب بلا شك احتكاك مباشر بالدنيا وما فيها من تجارب، ما يعني أنه أمر مستغرب أن يكتب أحد أصحاب هذا الاختيار أدبا جميلا.

وتوضح، إذا كان ثمة اعتقاد قوي باصطدام الإبداع بالفكر الديني، فإن لكل قاعدة شواذ ومن المحتمل أن تكون هناك منتقبة لديها موهبة، وأن يكون ارتداء النقاب مبنيا على أسباب خاصة، فالقاعدة هي التعامل مع النص بعيدا عن شكل أو هيئة صاحبه إلى أن تبين كونه ناصا جيدا أو ركيكا.

وصعوبة طرح الجمال من بينات فكرية منغلقة. يشير الروائي السوداني أمير تاج السر، لـ"العرب"، إلى أنه ممن يرون أن الكتابة المنتقبة أو الكاتب السلفي يمكن أن يبدعا، لكن مهما كان إبداعهما لن يستطيعا الخوض في الكثير من الأمور التي يتصورها الإسلاميون تابوهات محرمة، من هنا فإنه يرى أن الكتابة الروائية لدى التيار السلفي خاضعة لقيود تحد من انتشارها وتحولها إلى ظاهرة.

ويقول الروائي المصري ناصر عراق لـ"العرب"، إذا اتفقنا مبدئيا على أن الإبداع الجيد عبارة عن فعل جميل لمقاومة كل ما هو قبيح وظالم ومنفر في الحياة، فإن الشرط الأول للوصول بهذا الإبداع إلى هدفه النبيل يكمن في تعزيز حرية المبدع من كل القيود التي تعرقل تحقيق ذلك الهدف النبيل.

وبذلك يصبح ارتداء النقاب، أو تبني الأفكار السلفية، مازقا إنسانيا بامتياز لأنه يتعامل مع جسد المرأة بوصفه مصيبة يتحتم إخفاؤها عن أعين المجتمع، الأمر الذي يعكس بالسلب على نفسية المرأة ذاتها وعقلها ووجدانها حتى لو لم تشعر بذلك، بالتالي سيغدو ما تبذعه مشوهًا منقوصًا ومحرومًا من الهدف الأسمى لكل إبداع جميل ومتفرد.

ويضيف، ينبغي التفريق بين امرين في مسألة النقاب: الأول أن ثمة امرأة ترتديه رغمًا عنها من باب تنفيذ أوامر رجال الأسرة (اب/ شقيق/ زوج)،

مثلما فعل كاتب الروايات نجيب الكيلاني الذي انتمى فكريًا وتنظيميًا إلى جماعة الإخوان المسلمين. يؤكد الروائي المصري أحمد عبدالمجيد، لـ"العرب"، أن ظاهرة الروايات المنتقبات امتداد

لكتابات الكيلاني التي كانت تركز على سرد مزاعم اضطهاد الإسلاميين في مختلف البلدان، ومحاولات وتجارب الإسلاميين في مجال الرواية اعتمدت على تصور طرحه الكاتب الإخواني محمد قطب في كتاب "منهج الفن الإسلامي"، حيث تعامل مع فن الرواية باعتباره نموذجًا للدعوة، والسمة الغالبة عليها التعامل بسداجة مع الأدب من خلال بث قيم السلفية عبر صفحات النص بأسلوب وعظي منفر.

الظاهرة الجديرة بالمتابعة في هذا الشأن، هي أن جميع الروايات المنتقبات في مصر ينتمين إلى دار نشر بعينها، ما يشير إلى وجود تمويل ودعم مالي مخصص لهذا الشأن، إذ أنه ليس من المقبول مصادفة أن تختار عشر روائيات منتقبات دار النشر نفسها لنشر كتاباتهن المتشابهة في تناول والطرح.

نجاح مؤقت

يهون البعض من الظاهرة مستندًا إلى أنه مهما ذاع أدب الروايات السلفية أو انتشرت موجات الروايات المنتقبات، فإن ذلك مُحدد التطور، نظرا لاصطدام الفن بالقيود السلفية

مجالات الثقافة الأخرى، والتشكيك في الخدمات اليومية التي يقدمها المجتمع بمؤسساته، والتوجس من النساء غير المحجبات وتصويرهن بشكل أدنى في الأخلاق.

في نص "وقالت لي" لدعاء عبدالرحمن، يؤكد السرد على طبيعة اللباس الذي ترتديه المرأة وفضل غطاء الوجه وأفضلية المحجبة عن سواها، بل تصل هالة التي ترتب لحياة بناتها قبل وفاتها نتيجة مرضها بالسرطان إلى توريث الغطاء الأسود أو الرمادي لبناتها أو من سيترجها زوجها بعد وفاتها، وهي من تنتقيه لها ولبناتها قبل موتها.

كان هذا الرداء فيصّل في تحديد ماهية الشخصية وأخلاقها دون أن نراها تتشغل بقيم نماذجها من النساء والرجال، وبدا السطح الخارجي الفصيل في تحديد ماهية البشر.

وخلصت دراسة أماني فؤاد إلى أنه لا يتسحق فعل كتابة الرواية مع يد مخبأة خلف قفاز أسود خوفا من أن تلامس العالم أو يلامسها هو، فالوجود لا يقبض وضوعنا ولا طهارة أرواحنا لو شئنا.

يفرض النقاب نوعا من العزلة على الروائية، وهي الأكثر احتياجا إلى خوض الغمار ومعايشته، للقدرة على التعبير عن نفسها، كما التعبير عن النماذج البشرية المحيطة بها، بكل ما ظهر منها وما بطن، في حالات النجاح أو الإخفاقات، في قوتها وهشاشتها، بحاجة إلى أن تحب شخصها وتلبسها حالانهم لا أن تتناولها كأنها تلقى خطبة على منبر جامع، لتقرر الواجب والجائر والذي يمتنع، أو أن تحاكم العمل وشخصه وما يطرح به من مواقف من الجانب الأخلاقي.

رغم بطرح به من مواقف من الجانب الأدبية لها اتسمت بالمحاولات الفردية

الإبداع حرية، وكسر لأصفاة العقل، وسياحة لخاطرات روحية، وتمدد لفضيلة الأسئلة، وانطلاق لأحاسيس الإنسان. هو طرح للخيال ومجاهرة بمكنون النفس، وأن تسأل دون حرج، وتكتب بلا إشارات مرور، وتخلق كيفما شئت في سماوات المعرفة والجمال. من هنا كان ملفتا للنظر ومثيرا للدهشة، زحف التيارات السلفية المنغلقة على فن الرواية الحديثة كقناة مفترضة من قنوات الدعوة.

الدولة، وتمسر الروايات قدرا كبيرا من الذكورية وازدراء المرأة، وتنطوي على مغالطات علمية متنوعة تنسب كل فعل حضاري عظيم إلى المسلمين وحدهم.

تبرر أماني فؤاد دخول بعض هذه النصوص ضمن الكتب الأكثر مبيعا بعدة أسباب، وأولها غراية الظاهرة، لأن معرفة القارئ بأن كاتبة الرواية منتقبة تدفعه إلى البحث عما تقدمه تلك الكاتبة من تصورات ورؤى، وفانيتها اعتماد دور النشر على كتابات إلكترونية منظمة ومدعمة ماليا للترويج للكتب، فضلا عن أن هناك بالفعل جمهورا من الاتباع والمتعاطفين مع التيارات الدينية داخل المجتمع، ومن يقرأ كتابها "المرأة ميراث من القهر"، حيث تناولت نصوصا لروايات منتقبات في مصر دخلت ضمن قوائم الكتب الأكثر مبيعا.

رسائل رجعية

أحدث نشر جانب من تلك الدراسة في القاهرة قبل أيام ردود أفعال صاخبة في الوسط الثقافي، وكشف بجلاء اتساع تيار السلفية في الكتابة الروائية الحديثة، حيث تجاوز عدد الروايات المنتقبات في مصر وحدها عشر روايات، وكشف عن وجود توجه لترميم قيم السلفية، من انغلاق وذكورية ورفض للآخر وتحريض على هدم القانون والعنف ضد الآخر، عبر بعض النصوص الحديثة.

زحف ممنهج

تقول أماني فؤاد في تصريحات خاصة لـ"العرب"، إن أحدا من المجتمع الثقافي لم يكن ليلتفت لزحف السلفية الدينية إلى الإبداع تحت تصور سابق ظل سائدا لعقود طويلة، فماده أن التيارات الدينية غير قادرة على صناعة الفن أو الإبداع، ومن ثم فهي غير قادرة على التأثير في الوسط الأدبي.

الجيل الجديد من

المتشددين أكثر خطرا

لديه قدرة على الكتابة

واستخدام الفن الروائي

والقصصي وسائل للدعوة

وتوضح أن ذلك التصور تأكد خطو، لأن الأجيال الجديدة من التيارات الدينية تعلمت تعليما جيدا، بعضها تعلم لغات أجنبية وصارت لديه قدرة على الكتابة واستخدام الفن الروائي والقصصي كأدب وسائل الدعوة.

أدى وصول جماعة الإخوان المسلمين إلى حكم مصر لعام واحد (2012 - 2013) إلى اقتناعهم بأنهم في حاجة ماسة إلى القوى الناعمة التي كانوا يفتقرونها من كتابة وفن وإبداع للتأثير في الناس، ما دفعهم إلى تشجيع ملكات الكتابة لدى البعض للنفاد إلى المجتمع والتأثير فيه عبر الأدب، وكان من الغريب أن هناك دور نشر بعينها روجت لظاهرة الروايات المنتقبات لتكتسب جمهورا كبيرا، حتى أن بعض رواياتهن دخلت في قوائم الأكثر مبيعا.

تؤكد أماني فؤاد أن ذلك طرح تساؤلا مفادا، إن كان السلفيون قادرين على الإبداع أم لا؟ ما دفعها إلى قراءة ودراسة روايات المنتقبات لتجد أن هناك بالفعل ثلاثا منهن قادات على الكتابة بشكل أدبي جذاب يؤثر في القراء المبتدئين.

وتضيف لـ"العرب"، أن بعضهن لديهن تركيبات لغوية جيدة، وبناء مقبول للشخصيات، وبشكل فني معقول، لكن كان من الواضح أن هناك رسائل ظاهرة وأخرى خفية يتم تمريرها عبر النصوص الروائية، مثل استحضار القتل والعنف ضد الآخر (غير المسلم)، وكراهية الاحتكام إلى دولة القانون، والنظرة الضدية تجاه مؤسسات

مصرية. وتؤكد أماني فؤاد أن ذلك طرح تساؤلا مفادا، إن كان السلفيون قادرين على الإبداع أم لا؟ ما دفعها إلى قراءة ودراسة روايات المنتقبات لتجد أن هناك بالفعل ثلاثا منهن قادات على الكتابة بشكل أدبي جذاب يؤثر في القراء المبتدئين.

وتضيف لـ"العرب"، أن بعضهن لديهن تركيبات لغوية جيدة، وبناء مقبول للشخصيات، وبشكل فني معقول، لكن كان من الواضح أن هناك رسائل ظاهرة وأخرى خفية يتم تمريرها عبر النصوص الروائية، مثل استحضار القتل والعنف ضد الآخر (غير المسلم)، وكراهية الاحتكام إلى دولة القانون، والنظرة الضدية تجاه مؤسسات

مصطفى عبيد
كاتب مصري



من الملاحظ في المدة الأخيرة وجود موجة "سلفنة" ثقافية مخبئة للرواية، بدأت ملامحها في التشكل مع صعود السياسي للتيارات الدينية، عقب ما يعرف بثورات الربيع العربي، ولم تتوقف ملاحظتها.

كانت الخطوات محسوبة ومركزة ومدعومة بشكل غريب ومستتر، غير أن ناقدة أدبية نابهة، هي الدكتورة أماني فؤاد استاذة النقد الأدبي باكايمية الفنون بالقاهرة، التفتت للأمر وأعدت دراسة تفصيلية حول ذلك ضمن كتابها "المرأة ميراث من القهر"، حيث تناولت نصوصا لروايات منتقبات في مصر دخلت ضمن قوائم الكتب الأكثر مبيعا.

أحدث نشر جانب من تلك الدراسة في القاهرة قبل أيام ردود أفعال صاخبة في الوسط الثقافي، وكشف بجلاء اتساع تيار السلفية في الكتابة الروائية الحديثة، حيث تجاوز عدد الروايات المنتقبات في مصر وحدها عشر روايات، وكشف عن وجود توجه لترميم قيم السلفية، من انغلاق وذكورية ورفض للآخر وتحريض على هدم القانون والعنف ضد الآخر، عبر بعض النصوص الحديثة.

زحف ممنهج

تقول أماني فؤاد في تصريحات خاصة لـ"العرب"، إن أحدا من المجتمع الثقافي لم يكن ليلتفت لزحف السلفية الدينية إلى الإبداع تحت تصور سابق ظل سائدا لعقود طويلة، فماده أن التيارات الدينية غير قادرة على صناعة الفن أو الإبداع، ومن ثم فهي غير قادرة على التأثير في الوسط الأدبي.

تقول أماني فؤاد في تصريحات خاصة لـ"العرب"، إن أحدا من المجتمع الثقافي لم يكن ليلتفت لزحف السلفية الدينية إلى الإبداع تحت تصور سابق ظل سائدا لعقود طويلة، فماده أن التيارات الدينية غير قادرة على صناعة الفن أو الإبداع، ومن ثم فهي غير قادرة على التأثير في الوسط الأدبي.



الروائيون سمر نور وأمير تاج السر وأماني فؤاد وحمدي الجزار: المتشددون يكتبون أفكارا عنيفة ضد الإبداع